مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع JALHSS
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences – JALHSS
ISSN: 2414 – 3383 www.jalhss.com
العدد (5) نيسان-ابريل 2016

إشكالية وفاة محمد بن عبد المنعم الحميري صاحب كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" بين المؤرخين القدامى والمحدثين (دراسة في النصوص التاريخية)

أ.م.د. صباح خابط عزيز سعيد
كلية الآداب - جامعة بغداد
بغداد - العراق

أ.م.د. سولاف فيض الله حسن
كلية التربية (ابن رشد) – جامعة بغداد
بغداد - العراق

الخلاصة

تناولت الكثير من الدراسات الأكاديمية محمد بن عبد المنعم الحميري في جوانب مختلفة من معجمه الجغرافي المعروف بـ " الروض المعطار في خبر الأقطار" . وجاءت هذه الدراسة لتؤكد وبحسب النصوص والإثباتات الصريحة والصحيحة والحسابات الدقيقة من خلال بعض التواريخ التي عاصرها المؤلف ، ومن شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم ، وتفنيد بعض الآراء التي ذُكرت لدعم وفاته في وقت متأخر يتناقض والتاريخ الحقيقي لوفاة المؤلف والنصوص التي اقترنت بها بعض الحوادث التي وقعت بتواريخ معلومة كان المؤلف ، أو من أكمل الكتاب بعده ، قد نوه إليها بأنها قد وقعت لوقت قريب تشير إلى انه معاصر لها ، وهي مسألة تتطلب الكثير من الدلائل والإيضاحات لإثبات تلك الوفاة التي أختلف فيها المؤرخون من القدامى والمحدثين .

The Ambiguity of Mohammed Ibn Abd Al-Munim AL-Himyar's , Who Wrote "AL-Rawd AL-Mitar Fi Khabar Al-Aqtar " , Among the Classic and Modern Historical Historians (Historical Study)

Assist. Prof. Dr. Sabah Khabut Azeez Saeed
College of Literature - Baghdad University
Baghdad - Iraq

Assist. Prof. Dr. Sulaf F. Hasan
College of Education (Ibn Rushd) - Baghdad University
Baghdad - Iraq

ABSTRACT

There are many academic Studies , which dealt with Mohammed Ibn Abd AL-Muniem AL-Hemery's death , who wrote a book named AL-Roudh AL-Metar fi Khaber Al-Iqtar in different aspects as a geographical dictionary. This study accentuates the perfect indication , according to exact historical events which witnessed by the author , and form his tutors who studied him and falsify same opinions or views , which mentioned in order to support the idea of authors death, form the late time which contrast with the real history of author's death , and the historical events which relate to the historical resources that occurred in specific events mentioned by the author , Because it were witnessed by the writer too. So this is an important cause that required from indications and explanatories so as to prove the death which differed by the classic and modern historians.

المقدمة

تناولت الكثير من الدراسات الأكاديمية محمد بن عبد المنعم الحميري في جوانب مختلفة من معجمه الجغرافي المعروف بـ "الروض المعطار في خبر الأقطار" سواء كانت هذه الدراسات منهجية تاريخية كدراسة "بارق سعدون عزيز " في جامعة ديالى كلية التربية في عام 2013م الموسومة بـ : " الجوانب التاريخية لمدن المشرق الإسلامي من خلال كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ت 727هـ/1327م" ، أم تاريخية للأوضاع الاقتصادية كدراسة " أفراح نازك عبد الرحمن نازك حفيظة " في جامعة النجاح الوطنية في نابلس بفلسطين في عام 2013م الموسومة بـ " الحميري محمد بن عبد المنعم ت 900هـ وكتابه الروض المعطار في خبر الاقطار دراسة تاريخية للأوضاع الاقتصادية " ، أو مقدمة كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للدكتور إحسان رشيد عباس الذي قام بتحقيق هذا الكتاب وهو فلسطيني الجنسية في عام 1974م في بيروت وطبع كطبعة أولى في مطابع هيدلبرغ في بيروت عام 1975م وطبعة ثانية سنة 1984م ، فضلاً عن بحث الدكتور صالح العمارنة من الجامعة الاردنية كلية الاداب الموسوم بـ " منْ هو مؤلف الروض المعطار في خبر الاقطار" [1] ، وبحث الاستاذ محمد الفاسي " الجغرافي ابن عبد المنعم الحميري السبتي وتأليفه الروض المعطار " [2] ، وقبل كل ذلك مقدمة المستشرق الفرنسي المهتم بالتاريخ الأندلسي إ. ليفي بروفنسال الذي انتخب ما يخص جزيرة الأندلس من أعلام جغرافية من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار وسماه بـ " صفة جزيرة الأندلس " وطبع عام 1937م . فضلاً عن بعض الدراسات الأخرى التي تناول بها المستشرقون كتاب الروض المعطار ومؤلفه [3].

ومع هذا الكم من الدراسات لكنها وللأسف لم تحسم التاريخ الحقيقي الذي توفي فيه مؤلفنا المذكور ، والتي ظلت هكذا بين الباحثين كلما تطرقوا إلى ذكر الحميري وكتابه في رسائلهم وأطروحاتهم ، ذات الاهتمام بالدراسات الأندلسية والمغربية خاصة وغيرها عامة ، والتي غالبا ما تكون مدعومة بتواريخ مختلفة منها 710هـ/ 1310م و727هـ/ 1327م وبعد 866هـ/ 1461م و900هـ/1494 م و910هـ/ 1504م كما أن هناك تاريخ ذو بال وجد في كتاب الروض المعطار يمتد إلى أكثر مما أشير إليه من التواريخ السابقة ألا وهي سنة 920ه/ م [4] وربما كانت هناك أرقام وتواريخ أخرى لم نطلع عليها لكنها في العموم لم تحل هذه الإشكالية ، حتى أنه ضمن الدراسة الواحدة يكون الباحثين قد ذكروا أكثر من تاريخ لوفاة المؤلف بقصد أو دون قصد . وهنا سوف لن نخوض بما يتعلق بتسمية الكتاب والاختلافات حوله لأن هذه الإشكالية تطرق إليها الأستاذ الحمارنة وأكد نسبة الكتاب إلى أكثر من مؤلف وفق أدلة وبراهين من الكتاب نفسه [5]وسنقتصر هنا فقط على الإشكالية المتعلقة بوفاة المؤلف عند المؤرخين القدامى والباحثين المحدثين .

وبناءاً على ما تقدم جاءت هذه الدراسة لتؤكد وبحسب النصوص والإثباتات الصريحة والصحيحة والحسابات الدقيقة من خلال بعض التواريخ التي عاصرها المؤلف ، ومن شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم ، وتفنيد بعض الآراء التي ذُكرت لدعم وفاته في وقت متأخر يتناقض والتاريخ الحقيقي لوفاة المؤلف والنصوص التي اقترنت بها بعض الحوادث التي وقعت بتواريخ معلومة كان المؤلف ، أو من أكمل الكتاب بعده ، قد نوه إليها بأنها قد وقعت لوقت قريب تشير إلى انه معاصر لها ، وهي مسألة تتطلب الكثير من الدلائل والإيضاحات لإثبات تلك الوفاة التي أختلف فيها المؤرخون من القدامى والمحدثين .

أسمه وكنيته وعلومه ومعارفه

أسمه محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري يكنى ابو عبد الله بن عبد المنعم السبتي [6] .ووصف بأنه كان : " رجل صدق, طيبَ اللهجةِ سليمَ الصدر , تامَ الرجولة , صالحاً , عابداً , كثير القرب والأوراد في اخر حاله , صادق اللسان , قرأ كثيراً وسنه تنيف على سبع وعشرين ، ففات اهل الدؤوب والسَابقة , وكان من صدور الحفاظ ، لم يستظهر احد في زمانه من اللغة ما استظهره ، فكاد يستظهر كتاب التاج للجوهري وغيره , آية تتلى، ومثلاً يضرب , قائما على كتاب سيبويه ، يسرده بلفظه . اختبره الفاسيون في ذلك غير ما مرة . طبقة في الشطرنج يلعبها محجوبا , مشاركا في الأصول , آخذاً في العلوم العقلية ، مع الملازمة للسنة , يعرب أبداً كلامه ويزينه (ويزنه) " [7].

وذكره صاحب بلغة الأمنية بقوله [8] : " أبو عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي سبتي حافظ للغات العرب متفنن يقول الشعر واتفق له انه توجه إلى حضرة فاس في وفد أهل سبته في أيام السلطان أبي الحسن (731-749هـ/1331-1348م) [9] ، وكان قد تقرر لديه حفظه فذكر ذلك لبعض كتبته فأراد الكاتب ان يغض منه فقال نصركم الله ان الرجل يحفظ لغة حوشية وان شئت أن تعرفها عنده فاخترع اسماً وسله عن معناه فقال له السلطان وما يكون الاسم فقال يا مولاي سله عن التمر كل ففعل فقال مجيبا هو التلفع في الكساء واستشهد له عليه بشواهد للعرب فعرف السلطان مكانته من الحفظ وقام الدليل عنده على ذلك رحمة الله وحدثني عنه الشيخ الحسيب العدل أبو عبد الله الزيات رحمة الله عليه انه كان يقرئ الطلبة في المجلس الواحد دولا في علوم شتى قال وآخر ذلك دولة في الطب قال فكنت ارى بعض الطلبة ممن طال به المجلس خارجا من المسجد ويدخل إليه أصحاب العلل والزمنى شيوخا وكهولا لحضور دولته الطبية وذكره ابن خميس قال وكان له قيام على الأصول والنحو وسوى ذلك قال وكان يحكم قراءة كتاب سيبويه أتم إحكام ويستظهر شواهده كلها ويطرح ما عداه من مصنفات فنه قال وكان يقدم صحاح الجوهري على سواها من كتب اللغة ويستظهر شواهدها أيضا ويقدم جواهر ابن شاش في الفقه على غيرها من كتبه وأنسيت ما قاله في اختياره من كتب الأصول قال ويذكر عنه انه أكل البلاذر في صغره وتلقيت انا ممن أثق بحديثه من جلة أصحابنا الطلبة انه اخذ البلاذر ونقعه في الماء مع القمح حتى سرى فعله إليه وأطعم ذلك الحب دجاجه ثم انه ذبحها وطبخ لحمها ووقف في صهريج مملوء ماء عريانا وأكل اللحم وشرب المرق على تلك الحالة قال وان جسده ليشتعل من شدة حرارته قال فكان دأبه بعد ذلك السؤال عن مقتضيات الألفاظ والبحث عن معانيها وتأويلها قال فبقي على ذلك مدة ثم اعتدل مزاجه ونبل عقله واشتد حفظه قال ابن خميس ويذكر عنه انه كان يلعب الشطرنج في حال صغره ظاهرا ويغالب فيه الأقوياء من قبله وكان موضع إقرائه بالمسجد الذي بإزاء زقاق الفضل على الممر الأعظم ، وتوفي رحمة الله عليه بسبتة في أحد شهور عام خمسين وسبعمائة ، وقد ذكرناه في الكواكب". وأهم ما يمكن استنتاجه من هذا النص هو العلمية العالية في اللغة والنحو والأصول والعلوم الأخرى التي تفرد بها والذكاء الحاد والمتوقد في المسائل الرياضية ، وهذا ما جعل السبتي أن يصفه عندما وقف على قبره في سبته قائلاً : " قبر الشيخ اللغوي الحافظ الأنبل المتفنن في المعارف أوحد زمانه في ذلك ، وإمام عصره " [10] .

إشكالية وفاته ومحاولة لإيجاد مخرج

قال لسان الدين ابن الخطيب انه : " قدم غرناطة مع الوفد مـــــن أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بني نصر , لما وصلوا بالبيعة " [11] وهذا يقودنا إلى القول أن هذا الوفد ذهب إلى غرناطة ليعترف بتبعية سبتة لبني نصر مرافقاً شيخيه حسبما أشار لسان الدين ابن الخطيب وهما محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي (ت733ه/1332م)[12] وقاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري (643-723ه/1245-1323م) [13]. فضلاً عن شخصيات أخرى رافقت الوفد . ولم يقل ذهب إلى فاس في المغرب كما أردف قوله هذا كما سيأتي.

كان انتماء سبتة إلى حكم بني نصر أواخر سنة 705ه/1305م[14] أي في عهد ملك غرناطة أبي عبد الله محمد الثالث الملقب بالمخلوع (701-708ه/1301-1308م)[15] وعودتها إلى المرينيين سنة 709ه/1309م [16] أي في عهد ملك غرناطة أبي الجيوش نصر (708-713ه/1308-1313م)[17] وعلى هذا تكون الوفادة قد تمت في أوائل تلك المرحلة بين هاتين السنتين[18]. فإذا كانت وفاة الحميري سنة 727ه/1326م وهي إشارة لابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة [19] تكاد تكون الأقرب إلى الدقة بحسب تقدير محقق الروض المعطار[20] ، فلابد من القول أنه هل يعقل أن تمتد الوفادة إلى كل تلك السنين وبقاء الوفد هناك ، لاسيما إذا ما عرفنا من خلال ما أدلى به لسان الدين ابن الخطيب عن وفاته بقوله[21] : " كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند منصرفهم عن باب السلطان , ملك المغرب , بأحواز تيزي [22] , حسبما وقع التنبيه على بعضهم " ، فإن عبارة " كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان " [23] تدعونا إلى القول عن أي وباء يتحدث فهل حدث وباء لم تشر إليه المصادر كان سبباً في إزهاق العديد من الأرواح وهو ما يعبر عنه بالموتان ، كما أن عبارة : " عند منصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب " فيها نظر وتحقيق يجعلنا أن نعطي تفسيرا مغايرا لما اعتاد طرحه سابقا ، فالوفد هنا رحلته إلى ملك المغرب في فاس ، السلطان ابي الحسن (731-749هـ/1331-1348م) [24] وهي على ما يبدو غير رحلة

الوفد السابق إلى ملك غرناطة محمد الثالث الملقب المخلوع (701-708هـ/1301-1308م) لتأكيد تبعية سبته لملوك بني الأحمر في شوال سنة 705ه/1305م ومن ثم عودتها لحكام بني مرين في صفر سنة 709ه/1309م كما تقدم ، والأدلة على ذلك كثيرة أسعفتنا بها المصادر المعتبرة .

فلو تتبعنا كيف تلقى الحميري العلوم المختلفة وعلى يد مَنْ من المشايخ ، لعرفنا على الأقل العصر الذي تواجد فيه ، وقد أسعفتنا بعض الأسماء من هؤلاء الشيوخ الذين أخذ منهم وعاصرهم ، اثنان منهم ذكرهما لسان الدين ابن الخطيب كما مر رافقهما الحميري مع الوفد الذي ذهب إلى غرناطة ليؤكد التبعية لملوك بني نصر وهما قاسم بن عبد الله الشاط الأنصاري المتوفي سنة 723ه/1323م ومحمد بن علي اللخمي السبتي المتوفي سنة 733ه/1332م ، فضلا عن أبي إسحاق الاشبيلي (ت716ه/1316م م) وهو إبراهيم بن احمد بن عيسى الغافقي الاشبيلي المالكي ، توفي وله خمس وسبعون سنة [25] ، وفي هذا دليل على أن الحميري كان شاباً في بداية العقد الثالث من عمره على أكثر تقدير بحكم وفاة شيوخه في السنوات المشار إليها أعلاه ، ولو كان فعلاً أن الطاعون قد استأصلهم بعد عودتهم لكان حال الجميع في تاريخ واحد مثلهم مثل الحميري ، فوفياتهم كما مر مختلفة التوارخ ، هذا من جهة.

من جهة أخرى فأن ابرز الذين عاشوا في القرن الثامن الهجري[26] لم يتطرقوا إلى حدوث وباء في عام 727ه/1326م ولم تحدثنا المصادر عنه سوى تأكيدها على مجاعات وقحط شديد يرافقها ارتفاع كبير بالأسعار بالمغرب ويؤثر بالجملة على المجتمعات البشرية حتى الموت أو الهجرة امتدت من 723ه/1323م و724ه/1323م و قحط سنة 725ه/1324م الذي تجدد سنة 726ه/1325م [27] ولو حدث هذا الوباء الجارف كما يوصف لأشارت إليه المصادر كما أشارت للذي قبله وبعده بمرارة بالغة ، وقد أحصت إحدى الدراسات [28] الأوبئة التي حصلت في القرون السادس والسابع والثامن للهجرة بالاعتماد على المصادر المعاصرة فلم تذكر حدوث أي وباء للطاعون الجارف في تلك السنة رغم إشارتها إلى هذا الوباء في سنوات عديدة قبل وبعد سنة 727ه/1326م ، مثلاً السنوات 526ه / 1131م و 535ه / 1140م و 571-572ه / 1175-1176م و 610ه / 1213م و631ه / 1233م و634ه / 1236م و635ه / 1237م و 693ه/ 1293م و 763ه/1362م ونلاحظ أن المصادر لم توثق وباء 727ه/1326م ولم تذكره بالأصل رغم أن حدوث مثل هكذا وباء يكون له صداه في العالم الإسلامي برمته وهذا يعني عدم وجود دليل يؤكد انتشاره في تلك السنة ، فضلاً عن أن إشارة ابن حجر العسقلاني لوفاة الحميري في تلك السنة لا يوجد من يؤيدها وليس هناك ما يثبت دعواه فهو لم يصرح تماما عن مصدر المعلومة ، ولم يبين سبب الوفاة كما هو معروف ، والتي لو حدثت بسبب الطاعون الجارف لذكرها كونه يعم اغلب الدول عادة وما يسببه من ذعر وأهوال تجعل الكثير ممن تشمله رعاية الله في النجاة منه يتحدثون عنه عادة بإسهاب ولوعة .

بقي لدينا أن نعرج إلى ما ذكره ابن خلدون في كتابه التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا الذي ذكر الطاعون الجارف لسنة 749ه/1348م [29] ، بمرارة بالغة كونه عم العالم الإسلامي وغيره ، أو ما يسمى بالموتان وهو أمر أكده ابن الوردي (ت749ه/1348م) في تاريخه ولو كان قد حدث امر مماثل لهذه النكبة في وقت سابق لذكرها وأرخ لها [30] وأعني هنا سنة 727ه/ 1326م . وقد أشار لسان الدين ابن الخطيب إلى حدوث قحط شديد في الأندلس عام 748ه/1374م [31] مهد لتفشي الطاعون الأسود في السنة التالية انتقل على أثره إلى المغرب مباشرة [32] الأمر الذي فسَره ابن خلدون بأن : " المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول " [33] . والجدير بالذكر أن ابن خلدون كان قد بلغ الثامنة عشرة من عمره عندما حلت النكبة الكبرى بالمغرب إذ اكتسحه الطاعون الجارف ، فحصد مئات الألوف من سكانه ، كما حصد الملايين من سكان العالم في آسيا وأوربا. الأمر الذي أحدث اختلالاً حاسماً في التوازن بين البداوة والحضارة في المغرب ، فهو قد أمات الكثير من أهل المدن بينما هو لم يمس بسوء أهل المناطق الجبلية والصحراوية . وقد أدى هذا إلى تفوق البدو على الحضر في العدد والقوة ، مما مكن القبائل البدوية من الاستيلاء على المدن ذات الأسوار المنيعة التي كانت تخلو ممن يدافع عنها [34].

يؤكد ابن خلدون على أن وفدا مغربياً قد زار فاس عندما ملك السلطان أبي الحسن المريني إفريقية (تونس) سنة 748ه/1374م بقوله : " وكان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن ، عند ملك إفريقية سنة ثمان وأربعين ، جماعة من أهل العلم ، كان يلزمهم شهود مجلسه ، ويتجمل بمكانهم فيه " [35] ، وقد أشار لهذا الوفد مقروناً بأسماء كثيرة ذهب إلى المغرب للسلطان المريني أبي الحسن في فاس لتقديم البيعة والولاء الدائمين واستعان ببعضهم وعادوا بعد ذلك ليلقوا مصيرهم في طريق العودة في العامين 749ه/1348م و750ه/1349م [36] وكان من جملتهم الحميري الذي لاقى حتفه في أحد شهور سنة 750ه/1349م [37] في أحواز تازة .

سننقل بعض ممن ترجم لهم ابن خلدون ممن كانوا ضمن الوفد الذي أشار إليه لسان الدين ابن الخطيب كما مر ذكره في أواخر سنة 705ه/1305م ، والتي تؤكد أن الحميري كان من ضمنهم [38] على الرغم من انه لم يذكر اسمه صراحة ، ربما لصغره وعدم شهرته في ذلك الوقت ولكونه طالباً للعلم آنذاك ، ولم يمت في أثناء رجوع الوفد في هذه الرحلة كما يفهم من سياق الكلام الذي أوضحه لسان الدين ابن الخطيب الذي قال عند منصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب وليس منصرفهم من سلطان الأندلس كما يفهم من سياق الكلام الذي قبله بأن الحميري من ضمنهم [39] وهنا يذكر ابن خلدون بقوله : " ومنهم شيخ الفتيا بالمغرب ، وإمام مذهب مالك ، أبو عبد الله محمد بن سليمان السَطّي ؛ فكنت انتاب مجلسه ، وأفدت عليه" [40] ويضيف بقوله : " ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن ، وصاحب علامته التي توضع أسافل مكتوباته ، إمام المحدثين والنحاة بالمغرب أبو محمد بن عبد المهيمن بن عبد المهيمن الحضرمي ؛ لازمته وأخذت عنه ، سماعا ، وإجازة " [41] . ثم يوضح ذلك بقوله : " وأما عبد المهيمن كاتب السلطان أبي الحسن ، فأصله من سبتة ، وبيتهم بها قديم ، ويعرفون ببني عبد المهيمن ؛ وكان أبوه محمد قاضياً أيام بني العزفي ، ونشأ ابنه عبد المهيمن في كفالته ، وأخذ عن مشيختها ، واختص بالأستاذ أبي إسحاق الغافقي . ولما ملك عليهم الرئيس أبو سعيد ، صاحب الأندلس ، سبتة ونقل بني العزفي ، مع جملة من أعيانها إلى غرناطة ، ونقل معهم القاضي محمد بن عبد المهيمن ، وابنه عبد المهيمن ، فأستكمل قراءة العلم هنالك ، وأخذ عن أبي جعفر بن الزبير ونظرائه ، وتقدم في معرفة كتاب سيبويه ، وبرز في علو الإسناد ، وكثرة المشيخة ، وكتب له أهل الأندلس والمشرق ، وأستكتبه رئيس الأندلس يومئذ ، الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ، المستبد على السلطان المخلوع من بني الأحمر ، فكتب عنه ، ونظمه في طبقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه ، مثل المحدث الرحالة أبي عبد الله بن رشيد الفهري ، وأبي العباس بن احمد بن (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللخمي) العزفي ، والعالم الصوفي المتجرد ، أبي عبد الله محمد بن خميس التلمساني ، وكانا لا يجاريان في البلاغة والشعر - إلى غير هؤلاء ممن كان مختصاً به ؛ وقد ذكرهم ابن الخطيب في تاريخ غرناطة . فلما نكب الوزير ابن الحكيم ، وعادت سبتة إلى طاعة بني مرين ، عاد عبد المهيمن إليها واستقر بها ؛ ثم ولى السلطان أبو سعيد ، وغلب عليه ابنه أبو عليَ ، واستبد بحمل الدولة ، تشوف إلى استدعاء الفضلاء ، سنة اثنتي عشرة ، ثم خالف على أبيه سنة أربع عشرة ، وامتنع بالبلد الجديد ، وخرج منها إلى سجلماسة بصلح عقده مع أبيه ، فتمسك السلطان أبو سعيد بعبد المهيمن ، واتخذه كاتباً ، إلى أن دفعه لرياسة الكتّاب ، ورسم علامته في الرسائل والأوامر ، فتقدم لذلك سنة ثمان عشرة ، ولم يزل عليها سائر أيام السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ، وسار مع أبي الحسن إلى إفريقية ، وتخلف عن واقعة القيروان بتونس ؛ لما كان به من علة النقرس . فلما كانت الهيعة بتونس ، ووصل خبر الواقعة ، وتحيز أشياع السلطان إلى القصبة ، مع حرمه ، تسرَب عبد المهيمن في المدينة ، منتبذاً عنهم وتوارى في بيتنا ، خشية ان يصاب معهم بمكروه . فلما انجلت تلك الغيابة ، وخرج السلطان من القيروان إلى سوسة ، وركب منها البحر إلى تونس ، أعرض عن عبد المهيمن ، لما سخط غيبته عن قومه بالقصبة ، وجعل العلامة لأبي الفضل ابن الرئيس عبد الله ابن أبي مدْين ، وقد كانت مقصورة من قبلُ على هذا البيت ، وأقام عبد المهيمن عُطّلا عن العمل مدة أشهر ، ثم أعتبه السلطان ، ورضى عنه ، وأعاد إليه العلامة كما كان ، وهلك لأيام قلائل بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين (749ه/1348م) . ومولده سنة خمس وسبعين من المائة (675ه/1276م) قبلها ، وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به في تاريخ غرناطة فليطالعه هناك من أحب الوقوف عليه " [42] .

ومن خلال ما تقدم يبدو جلياً أن بنو عبد المهيمن كانوا من ضمن الوفد الذي ذهب إلى غرناطة أواخر سنة 705ه/1305م ثم عادوا ولم يذكر أن هناك طاعوناً فتك بالوفد ، إذ عادوا بعد ذلك إلى سبته بعد عودتها لحكام بني مرين في صفر سنة 709ه/1309م.

ويبدو أن خروج بعض المدن عن سلطة حكام بني مرين وعودتها مسألة كثيراً ما تتكرر ليس مدينة سبتة فحسب بل أن هناك مدناً أخرى قد مرت بنفس الأحداث ، منها ما ذكره ابن خلدون أن مدينة تلمسان ملكها السلطان أبو الحسن عنوة سنة 737ه/ 1336م من بني زيان [43] واستولى على إفريقية سنة 748ه/1347م [44] لمدة سنتين إلى أن استردها أهلها وفي ذلك قال ابن خلدون :"حتى انتقض المغرب على السلطان ، وأستقل به ابنه أبو عنان ، ثم ركب السلطان أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين (750ه/1349م) ،ومر ببجاية ، فأدركه الغرق في سواحلها فغرقت أساطيله ، وغرق أهله ، وأكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم ، وألقاه البحر ببعض الجزر هناك ،حتى استنقذه منها بعض أساطيله ، ونجا إلى الجزائر ، بعد أن تلف موجوده ، وهلك الكثير من عياله وأصحابه " [45] ، كما أن مدينة جبل الفتح (جبل طارق) عادت إلى ولاية بني مرين سنة 772ه/1370م [46] .

الخاتمة

يبدو جلياً أن مؤلفنا الحميري وبعد الدراسات الكثيرة التي قدمت حول معجمه الجغرافي لم تستطع التوصل إلى إثبات وفاته بشكل قاطع رغم توفر الأدلة والنصوص التي استشهدنا بها والتي تدعم وفاته بشكل أكيد فأهل مكة أدرى بشعابها كما قيل ، فصاحبنا سجلت له رحلتين إحداهما للأندلس التي ذهب بها مباركاً ومبايعاً لملوك بني نصر ، والثانية للمغرب وإلى فاس بالتحديد مهنياً ومباركاً للسلطان أبي الحسن لسيطرته على إفريقية وهي التي ختم بها حياته في أحواز تازة شرق مدينة فاس ، بعد عودة الوفد إلى الديار ، بسبب الوباء العام سنة 749ه/1348م الذي أمتد إلى سنة 750ه/1349م وما بعدها فاتكاً بالكثير من المجتمعات البشرية شرقاً وغرباً ، ليلقى حتفه في سنة 750ه/1349م .

الهوامش

(1) الحمارنة ، صالح ، " من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الاقطار وهي تعليق على الطبعة الكاملة لكتاب الروض المعطار في خبر الاقطار تأليف ابن عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس" ، المنشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، (بغداد ، 1978م) ، ص ص175-184.

(2) في محاضر جلسات المؤتمر العلمي لمجمع اللغة العربية في القاهرة مج39 ج9 محاضر الجلسات 359.

(3)ريتزيتانو ، أمبرتو ، منتخبات من كتاب الروض المعطار ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة مج 18، ج1 ، (القاهرة ، 1956م)، ص 135.

(4) اشار الحميري هنا الى حكم سلطان المماليك الجراكسة قانصوه الغوري (906-923ه /1500-1516م) وجعله بالهجري سنة 720هـ/1320م وهذا تصحيف وخلط ما بين التسعماية والسبعماية وهو يتحدث عن اصلاح طريق الحجاج في مدينة أيلة في طريق مكة من مصر وهي اول حد الحجاز بقوله : " ثم اصلحها السلطان الاشرف قانصوه الغوري آخر ملوك الجراكسة من جملة ما أصلح في طريق الحجاج في أواخر عمره قبل العشرين والسبعماية" . ثم أن هناك نقش على بوابة قلعة العقبة والتي تقع عند مدخل المدينة فيه اسم قانصوه الغوري وبجانبه تاريخ يرجع الى سنة 911ه/1505م . وقد اهتم بالعقبة لوقوعها على طريق الحج والتجارة . علماً ان آخر سلاطين الجراكسة المماليك هو الاشرف تومباي الثاني الذي حكم في سنة (923ه/1516-1517م) ينظر : الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت750ه/1349م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، ط2 (بيروت ، مطابع هيدلبرغ ، 1984م) ، ص 71؛ ابن اياس ،محمد بن احمد الحنفي (ت930ه/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور من سنة 906-921ه/1501-1515، تحقيق محمد مصطفى ،

ط 3 مصورة من ط2 (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984م) ، ج4 ، ص ص 133، 152 ؛ ج5 ، ص 95 ؛ هاردنج ، لانكسر ، آثار الاردن ، ترجمة سليمان موسى ، (عمان ، 1971م)، ص 172.

(5) من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص 181 وما بعدها .

(6) لسان الدين ابن الخطيب ، ابو عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني (ت776هـ/1374م) ،الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طويل (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003م)،مج3، ص101 ؛ ابن حجر العسقلاني , ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت852هـ /1448م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (بيروت ، دار الجيل ، 1993م) مج 4 ، ص32.

(7) لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة ، مج 3 ، ص101.

(8) مؤلف مجهول (من علماء القرن التاسع الهجري توفي بعد سنة 820ه/1714م) ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مجلة تطوان ، ع 9 (تطوان ، 1964م) ، ص ص 175-176.

(9) السلطان ابو الحسن المنصور علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (731-749هـ /1331-1348م) ، وصف بأنه أفخم ملوك بني مرين دولة وأضخمهم ملكاً وبعدهم صيتاً وأعظمهم أبهة ، ويعرف عند العامة بالسلطان الاكحل لأن امه حبشية فكان اسمر اللون ، عزل على يد ابنه ابي عنان فارس (749-759هـ/1348-1358م) وتوفي طريدا في جبل هنتانه سنة 752هـ /1351م . للمزيد ينظر : لسان الدين ابن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، د.ت.) ، ص25؛ ابن الاحمر، ابو الوليد اسماعيل (ت810ه/1407م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين (الرباط ، مطبوعات القصر الملكي ، 1962م) ، ص 25؛ ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين عبد الحي (ت1089ه/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الارناؤط (بيروت ، دار ابن كثير، 1986م)، ج8،ص 293؛ السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1315ه/1897م) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ابني المؤلف جعفر ومحمد الناصري (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1997م) ج3،ص 118.

(10) محمد بن القاسم الأنصاري (فرغ من تأليفه سنة 825ه/1421م)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط2، (الرباط ، بلا ، 1983م) ، ص20.

(11) ابن الخطيب , الإحاطة في أخبار غرناطة , ج 3 , ص102 ؛ الحميري , الروض المعطار، ص3.

(12) الاحاطة ، مج 3، ص116.

(13) الاحاطة ، مج 4،ص218.

(14) النباهي ،ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي(ت793ه/1390م) ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا- بيروت ، المكتبة العصرية ، 2006م) ، ص ص 145 ، 163.

(15) هو محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي ، يكنى ابا عبد الله ؛ ثالث ملوك بني الاحمر (655-713هـ/)، وهو الذي بنى مسجد الحمراء الاعظم بغرناطة . ينظر لسان الدين ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج1 ، ص ص 316-326 ؛ واللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ط2 (بيروت ، دار الافاق الجديدة ، 1978م) ، ص ص 47-56؛ ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808ه/1405م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1971م) ، ج7، ص306؛ والتعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2006م) مصورة عن الطبعة الاولى القاهرة 1951م ، ص39.

(16) ابن ابي زرع ، علي بن عبد الله ابي زرع الفاسي (ت741ه/1340م) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس (الرباط ، دار المنصور للوراقة والطباعة ، 1972م)، ص393 ؛ عنان ، محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ط4 ، 4 عصور في 6 اقسام (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1987م) ،

ع4 ، ص 115 ؛ فرحات ، يوسف شكري غرناطة في ظل بني الاحمر ، (بيروت ، دار الجيل ،1993م) ، ص32.

(17) هو شقيق الملك المخلوع اذ أُحيط به في يوم عيد الفطر من عام 708هـ واتت الحيلة عليه ، وهو مصاب بعينيه ، مقعد في كنه ، فداخلت طائفة من وجوه الدولة أخاه ، وفتكت بوزيره أبي عبد الله بن الحكيم ، ونصبت للناس الأمير أبا الجيوش نصراً أخاه . للمزيد ينظر لسان الدين ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج1 ، ص ص 322-324؛ ج3، ص ص 254-261.

(18) مقدمة الروض المعطار ، ص : ي .

(19) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، مج4 ، ص33.

(20) مقدمة الروض المعطار ، ص : ي .

(21) الإحاطة ، مج 3 ، ص 102.

(22) تيزي أو تازة : مدينة في المغرب الأقصى ، تبعد عن فاس نحو الشرق 127كم ؛ وهي إحدى المدن الحربية القديمة بالمغرب ؛ أسست قبل الفتح الإسلامي بكثير .ولمكانتها الحربية إتخذها الحسن بن إدريس الثاني مقراً حربياً ، والتسمية تطلق على المدينة وجبالها اذ تعد جبال ومدينة تازا فضلاً عن مدينة ملوية الحد الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى ، ويقع رباط تازا في أحد جبالها ، وبني سنة 586ه/1172م . أما المدينة فقد بناها عبد المؤمن الموحدي سنة 529هـ/1234م وقام بتحصين سورها . وفي أيام المرينيين إتخذها أبو يعقوب المريني عاصمته ، وقاعدة لغزو تلمسان ، ولا تزال حتى اليوم مركزاً حربياً يحسب له حسابه . وقد نسب إلى تازا علماء كثر. وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق وتسمى مكناسة تازا ، ومكناسة قبيلة من البربر سكنوا هناك فسمي الموضع بهم . ينظر : ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص 262 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص128؛ ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ص134.

(23) الاحاطة ، ج3 ، ص102.

(24) بلغة الامنية ، ص 175.

(25) التعريف بابن خلدون ، ص 38 ؛ ابن العماد الحنبلي , أبي الفلاح عبد الحي (1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب , ط2 , (بيروت , دار المسيرة ، 1399هـ/1979م) , ج6 , ص38 .

(26) مثلاً ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ؛ النباهي ، المرقبة العليا ؛ المراكشي ، المعجب وغيرهم.

(27) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص ص544،529 ؛ 530-544؛ السلاوي ، الاستقصا ، ج3، ص 179، ج4، ص165.

(28) البياض ، عبد الهادي ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (ق 6-8هـ/12-14م) ، (بيروت ، دار الطليعة ، 2008م) ، ص20وما بعدها .

(29) ص ص 15، 19، 27، 31، 41، 45، 46، 47، 48. وعن هذا الطاعون وأثره على المغرب الاوسط ينظر : سمية ، مزدور ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588-927ه/ 1192-1520م ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري - قسنطينة ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية - قسم التاريخ والاثار (قسنطينة ، 1429-1430ه/ 2008-2009م) ، ص 139 وما بعدها .

(30) زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) ، تاريخ ابن الوردي (بيروت، دار الكتب العلمية ، 1996م) ، ج2 ، ص338-342.

(31) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس " مجموعة من رسائله "نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي (الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958م) ، ص38.

(32) النباهي ، المرقبة العليا ، ص ص 159، 165، 174.

(33) المقدمة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1992م) ، ص 320.

(34) الوردي ، علي ، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته ، ط2 (بيروت ، دار مكتبة دجلة والفرات ، 2010م) ، ص129.

(35) التعريف بابن خلدون ، ص19.

(36) التعريف بابن خلدون ، ص ص15، 19-48.
(37) بلغة الامنية ، ص176 ؛ وينظر ابن تاويت ، محمد ، تاريخ سبتة (الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1982م) ، ص 158 وما بعدها .
(38) الاحاطة ، ج3، ص102.
(39) الاحاطة ، ج3، ص 102.
(40) التعريف بابن خلدون ، ص ص19-20.
(41) التعريف بابن خلدون ، ص20.
(42) التعريف بابن خلدون ، ص ص 38-41.
(43) التعريف بابن خلدون ، ص 30.
(44) التعريف بابن خلدون ، ص ص19 ، 31.
(45) التعريف بابن خلدون ، ص 32.
(46) التعريف بابن خلدون ، ص147.

المصادر والمراجع

المصادر الاولية

1-ابن الاحمر، ابو الوليد اسماعيل (ت810ه/1407م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين (الرباط ، مطبوعات القصر الملكي ، 1962م).
2-ابن اياس ،محمد بن احمد الحنفي (ت930ه/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور من سنة 906-921ه/1501-1515، تحقيق محمد مصطفى ، ط 3 مصورة من ط2 (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984م).
3-ابن حجر العسقلاني , ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت852هـ /1448م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (بيروت ، دار الجيل ، 1993م) .
4-الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت750ه/1349م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 (بيروت ، مطابع هيدلبرغ ، 1984م) .
5-ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808ه/1405م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، 1971م).
6-المقدمة (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1992م)
7-التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2006م) مصورة عن الطبعة الاولى القاهرة 1951م .
8-ابن ابي زرع ، علي بن عبد الله ابي زرع الفاسي (ت741ه/1340م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس (الرباط ، دار المنصور للوراقة والطباعة ، 1972م).
9-السبتي محمد بن القاسم الأنصاري (فرغ من تأليفه سنة 825ه/1421م)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط2، (الرباط ، بلا ، 1983م) .
10-ابن العماد الحنبلي , أبي الفلاح عبد الحي (1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب , ط2 , دار المسيرة ، (بيروت , 1399هـ/1979م) وطبعة اخرى ،تحقيق محمود الارناؤط (بيروت ، دار ابن كثير، 1986م).
11-لسان الدين ابن الخطيب ، ابو عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني (ت776هـ/1374م) ،الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طويل (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003م).

12-لسان الدين ابن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، د.ت.) .
13-اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ط2 (بيروت ، دار الافاق الجديدة ، 1978م)
14- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس " مجموعة من رسائله "نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي (الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958م) .
15-مؤلف مجهول (من علماء القرن التاسع الهجري توفي بعد سنة 820ه/1714م) ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مجلة تطوان ، ع 9 (تطوان ، 1964م) .
16-النباهي ،ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي(ت793ه/1390م) ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا- بيروت ، المكتبة العصرية ، 2006م) .
17-ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) ، تاريخ ابن الوردي (بيروت، دار الكتب العلمية ، 1996م) .

المراجع الثانوية

18-البياض ، عبد الهادي ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (ق 6-8هـ/12-14م) ، (بيروت ، دار الطليعة ، 2008م) .
19-ابن تاويت ، محمد ، تاريخ سبتة (الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1982م) .
20-الحمارنة ، صالح ، " منْ هو مؤلف الروض المعطار وهي تعليق على الطبعة الكاملة لكتاب الروض المعطار في خبر الاقطار تأليف ابن عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس" ، المنشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، (بغداد ، 1978م) ، ص ص175-184.
21-ريتزيتانو ، أمبرتو ، منتخبات من كتاب الروض المعطار ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مج 18، ج1 ، (القاهرة ، 1956م)، ص 135.
22-السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1315ه/1897م) ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق ابني المؤلف جعفر ومحمد الناصري (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1997م) .
23- سمية ، مزدور ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588-927ه/ 1192-1520م ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري - قسنطينة ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية - قسم التاريخ والاثار (قسنطينة ، 1429-1430ه/ 2008-2009م).
24-عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ط4 ،4 عصور في 6 أقسام (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1987م) .
25-فرحات ، يوسف شكري غرناطة في ظل بني الأحمر ، (بيروت ، دار الجيل ،1993م) ، ص32.
26-هاردنج ، لانكسر ، آثار الأردن ، ترجمة سليمان موسى ، (عمان ،منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، 1971م).